مجلة العلوم الانسانية، ١٤٢٨/٢٠٠٧ هـ.ق، العدد ١٤ (٢) ٨٣-٩٣

تفسير القرآن الكريم بحسب ترتيب النـــزول

محمد علي لساني فشاركي[١]، سمية ذوالقدرنيا[٢]

تاريخ الوصول: ١٤٢٧/٤/٢٥ تاريخ القبول: ١٤٢٧/١٠/٢٧

يعتبر التفسير بحسب ترتيب النـــزول أحد ألوان التفسير وأساليبه التي يلتزمها المفسر حيث يقسّم عملـــه إلى تفسير بحسب ترتيب نزول الآيات وتفسير بحسب ترتيب نزول السور، والتقسيم الثاني - وهو التفسير بحسب الترتيب النـــزول - يعدّ أسلم لوني التفسير بحسب النزول لأنّه أقلّ عرضةً للتناقض وأكثر جمعـــاً للفوائد.

ومن المسائل التي عُنِي الكاتب بها هي: إمكانية الوقوف على ترتيب النزول، ضرورته، أهمّيته وشرعيته، حيث وجّه الكاتب هَمّه للإجابة عنها وبيان الوجه فيها، وفي نهاية الأمر- مع الأخذ بعين الأعتبـــار مـــا ينطوي عليه كلا النوعين من الفوائد، وما يرد عليها من إيرادات- وجد الكاتب أنّ الطريق الأمثل هو الجمع بينهما، والإفادة من كليهما للوصول إلى طريقة واضحة المعالم يتوفّر فيها الناحيتان العلمية والعملية.

الكلمات الرئيسة: ألوان التفسير و أساليبه، الترتيب بحسب النزول، محمّد عزّة دَروَزة

١. استاذ مساعد بجامعة إعداد المدرسين، طهران

٢. ماجستير فى علوم القرآن والحديث جامعة إعداد المدرسين، طهران

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-25]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1428.14.2.7.3]

المقدمة

أدّى التأليف في التفسير على تعدّد في مناهجه وتغاير في طرقه قروناً طوالاً إلى ظهور اصطلاح علمي جديـــد في القـــرنين الأخيرين، هو: «منهجية تفسير القرآن الكريم» وهو مصطلح متأخّر، وجديد، مع تجذّره و قدم أصـــوله. هـــذا المـــدلول الإصطلاحي الجديد يهدف إلى نقد مناهج التفسير لبيان مناقب ومثالب كتب التفسير ليتسنى لدارس المقارنة فيما بينهما إختيار أصحها و أجمعها للفوائد، ويحفزه على الإفادة منـــها، دون أن يقف أمامها متحيراً أو تائهاً. على العموم كل المنهج التفسيري يصاغ في إطار عام يسمّى «لون التفسير و أسلوبه» و أنواعه فهي كما يلي:

١- التفسير بحسب الترتيب

١-١. التفسير بحـــسب ترتيـــب الـــسور و الآيـــات في المصحف(١)

١-٢.التفسير بحسب ترتيب النزول

٢. التفسير الموضوعي(٢)

هذا الإصطلاح يزيل الإبهام العارض من تداخله مع مـــصطلح «المنهج التفسيري» ومن هذه الجهة، يحسن أن نستعرض أنواع المناهج التفسيرية والتي يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

١.التفسير النقلي

١-١.تفسير القرآن بالقرآن

١-٢.تفسير القرآن بالسنة

٢. التفسير العقلي – الإجتهادي

٢-١. التفسير الاصولي – الفقهي

٢-٢. التفسير الفلسفي

٢-٣. التفسير الكلامي

٢-٤. التفسير العرفاني

٢-٥. التفسير الأدبي

٢-٦. التفسير العلمي (٣)

و لا ننسى أن نشير إلى الارتباط الوثيـــق بـــين المنـــهج التفسيري للمفسر ولون تفسيره لهذا كلا المصطلحين لابدّ أن يدارَس في إطار «منهجية تفسير القرآن الكـــريم». والتفـــسير بحسب ترتيب النزول، الذي هو أحد أنواع الألوان التفسيرية، التي تُعين في تفسير الآيات وفهم المراد منها. هذا النوع مـــن التفسير يحتاج إلى دراسة مستفيضة لأبعاده لتقييمـــه وبيـــان منـــزلته من بين سائر الألوان التفسيرية. وفيما يتعلق بهذا اللون التفسيري سنجيب في الفقرات التالية عـــن التـــساؤلات ذات الصلة:

١.التفسير بحسب ترتيب النـــزول

التفسير الذي يُعنى ببحث الترتيب الزمني للقرآن الكريم، وهو متأخر(٤) حيث يسلط الأضواء على الترتيب الزمني لنـــزول القرآن، أو التاريخ للقرآن الكريم، حيث يستعين بروايات مختلفة مكية ومدنية، وبأسباب النزول، وترتيب الـــنزول، والناســـخ والمنسوخ، تأريخ حياة الرسول الأكرم (ص)، و يفيـــد مـــن إشارات القرآن لبعض الأحداث التي أرّخت الرسالة النبوية من مثل بدء الجهر بالدعوة، هزيمة الروم، غزوة بدر، غزوة تبوك، هذا اللون في التفسير، عينت مجموعة الآيـــات ذات العلاقـــة بالحادثة الزمنية(٥)، سواء كانت هذه الآيات سورة كاملة أو جزءً منها [١].

من الجدير بالذكر أن التفسير يتخذ لونين إثنين، بعـــد أن يتعين زمان نزول مجموعة الآيات و الترتيب الزمني لها وموقعها بين ما قبلها وما بعدها، والجوّ الذي نزلت فيه هذه المجموعة، مما من شأنه أن يعين على فهمها، وهذان اللونان أو الوجهتان في التفسير هما:

١-١ الترتيب بحسب نزول الآيات

يمكننا أن نلمح هذا اللون من التفسير فى كتابـــات مهـــدى بازرگان فحسب، ففى كتابه المسمّى«پا بـــه پـــاى وحـــى» (التفسير المتدبّر للقرآن الكريم على حسب النزول) الذي كتب

١. انظر: نكونام، جعفر، در آمدى بر تاريخ گذارى قرآن، هستى نما، طهران ص٢

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-25]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1428.14.2.7.3]

منه نصفه، نجده يتتبع موضوع الوحى فى مجموعة آيات السورة السادسة عشرة، أو كما عبّر عنها بقوله «المجموعة التنـــزيلية السادسة عشرة». و على سبيل المثال : فإنّ المجموعة الأولى من آيات الوحى هى الآيات ١-٥ من سورة العلق، حيث يعالجها بالتفسير لينتقل منها، قبل أن يتم تفسير سائر آيات السورة، إلى تفسير المجموعة الثانية من آيات الوحى، وهى الآيات١-٧ من سورة المدثر، ومن ثمّ ينتقل لتفسير الآيتين الأولـــيين مـــن سورة العصر، دون تفسير الآية الثالثة، وهاتان الآيتـــان همـــا المجموعة الثالثة من آيات الوحى، وهكذا إلى أن يفسّر آيـــات المجموعة السادسة عشرة من آيات الوحى[١].

إنّ الأساس الذى اعتمده بازركان لمعرفه ترتيـــب نـــزول الآيات المختارة جديد ومبتكر، وهو يعتمد الإحصاء وقاعـــدة الإحتمالات[٢]. كوّن تصوراً لشخصيته وعلائـــم مجموعـــات الآيات عن طريق حساب عدد كلمات كل آية وكل سورة، أهمّ العلائم و الأشكال التي احتكم إليهـــا لتعـــيين ترتيـــب النـــزول لكلّ مجموعة تنـــزيلية هي «الطول المبنـــى» كمـــا اصطلح ذلك لنفسه، الأمر الذي لا يتسع بنا المقام لتفـــصيل القول فيه [٣].

لكن يكفي أن نشير إلى أنّ جمعاً من الباحثين قد اعترضوا على طريقة استخراج العلائم والأشكال وأخذوا عليها بعـــض النقص، من ذلك عدم تحرّي الدقة فى الإحصاء والحـــسابات التي بنى عليها المفسر اختياره للمجموعات .[٤]

هذا الأمر كان يكفي لوضع إشاراة استفهام حول نظريـــة المفسر التي بنى عليها تفسيره، سواء كان ذلك بالإستناد إلـــى الطريق الروائي أم بالاعتماد على النظرية ذاتها، فقد أخذ عليه أنه غير موثوق به و مصحوب بالشكوك و ذلك أنه يعتمد إلى إحداث تغيير في ترتيب آيات السورة، الذي هو التوقيفي كما نص عليه الإجماع.

ومما يؤخذ كذلك على هذا المنهج في التفسير هـــو غفلـــة المفسر عن الوحدة الموضوعية لآيات السورة الواحدة، والغرض الذي يتجه إليه موضوعها. وفى الحقيقة، فإنّ المنهج أفقد المفسر نكاتاً ووجوهاً فى التفسير يمكن استخراجها تتبع وحدة النسق والهدف المترائى من الوحدة الموضوعية التـــى تجمـــع آيـــات السورة، و هو يصطدم مع السياق القرآني؛ لذا فقد مُنِي المنهج باعتراضات كثيرة سجلت كمعايب ومثالب و نـــواقص فـــى التفسير رجحت كفّتها على محاسنه وفوائده التى اشتمل عليها.

لكن إذا قبلنا القول بأنّ آيات سورةٍ مّا لم يكن ليتلو فـــى النزول آيات فى سورة سابقة عليها إلّا إذا اكتمل نزول سائر آيات تلك السورة، وبالحقيقة رتّب الآيات في الـــسور بـــأمر رسول الله على ترتيب النـــزول كما مال اليه بعض الباحثين [٥] وعليه فإنّ النظرية السابقة مع عدم الأخذ بعين الاعتبار أوجـــه الصحة والضعف، فالاعتراضات التي وردت إليها مسبقاً لاتجد فى هذه الحالة إليها سبيلاً. لكن النظرية على أي حال بحاجـــة إلى مناقشة، فعلى الرغم من خضوعها للمنهجيـــة إلاّ أنّ ثمـــة اعتراضات ومآخذ عليه، من ذلك: اعتماده على روايـــات في ترتيب النـــزول لا يوثق بها سواء كان ذلك بالنسبة لآيـــات مجموعةٍ مّا أم لآيات سورة بعينها. أيضاً فإنّ الكاتب إعتمـــد نتائج تخمينية معتمد الحدس و الظنّ.[٦] وكما هو مشهور: فإذا جاء الإحتمال بطل الإستدلال، فلايصحّ على ذلـــك القطـــع بزمان نزول آيات سورة ما. مثلاً: فإنّ الباحث التزم فى تعيينه لزمان نزول سورتى الفاتحة و العلق على الأسس التى تبنّاها فى كتابه، فقد احتمل أن يكون نزول سورة العلـــق فـــى شـــهر رمضان من السنة الأولى من البعثة[٧].وعليه، فإنّ إشكالات ترد على هذا اللون فى التفسير، يعني: «تفسير القرآن بحسب ترتيب نزول الآيات»، والنتائج الموجودة من العمل به لا يمكن الوثوق بصحتها، وخاصة على النحو الذى اعتمده المفسر فى كتابـــه

١. بازرگان، مهدى، پا به پا وحى، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، طهران، ١٣٧٠ش
٢. نفس المصدر، ص٨
٣. بازرگان، مهدى، سير تحول قرآن، شركت سهامى انتشار، طهران، ج١، ص٢٦-٤٣
٤. نكونام، در آمدى بر تاريخ گذارى قرآن، ص٤٦و ٤٧
٥. نفس المصدر، ص٨٥
٦. نكونام، در آمدى بر تاريخ گذارى قرآن، ص١٣٤، ١٣٥، ١٤٦، ١٥٣، ٢٩٠ و...
٧. نكونام، در آمدى بر تاريخ گذارى قرآن، ص ٢٩٠

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-25]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1428.14.2.7.3]

«پای به پا وحی» (خطوة خطوة مع الوحی)، الذی لم يُعِـــر الوحدة الموضوعية والتناسب بين الآيات أي انتباه.

١-٢ الترتيب بحسب نزول السور

هذا اللون يعتمد تفسير آيات السورة كاملة من الآية الأولـــى إلى آخر آية فيها، وهو يحفظ لسور القرآن الكـــريم هويّتـــها وشخصيّتها، لكنه يرتّبها حسب نزول آيات مفتتحها، وهـــو يشرع فی تفسير أول السور نزولاً فی مكّة لينتهی بآخر سورة نزلت فی المدينة.[١]

يشاهد هذا اللون من التفسير فـــی كتابـــات مفـــسرين معاصرين هما: سيّد عبد القادر ملاّ حويش آل غازی(١٣٥٥ ق) فی كتابه «بيان المعاني على حسب ترتيب النـــزول»(٦) و محمّد عـــزّة دَروَزة (١٣٨٠ ق) فـــی كتابـــه «التفـــسير الحديث»(٧) [٢] و يلاحظ أنّ تأليف الكتابين قد تقارب زمانه، والجدير بالذكر أنّ كلا المفسرين ألّف كتابه دونما إطلاع على عمل الآخر، و لم يتأثر أحدهما بالآخر، إلاّ أنّ البعض يرى أنّ تأليف الكتابين كان فی ظروف مشابهة، فمنطقة الشام هـــي المنطقة التي إحتضنت كلا المفسرين[٣]، ولابدّ من القول بأنّ كلا المفسرين ذهبا إلى نفس اللون من التفسير وهو التفسير بحسب ترتيب النزول، أمّا من حيث المنهج فی التفسير فقـــد اختلفـــا بصورة كاملة. فصاحب بيان المعانی يتّخذ اتّجاهاً صوفياً[٤] فی الوقت الذی نجد اتّجاهاً ومنهجاً فی تفسير دروزة هو تفـــسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنّة وكذلك تفسيراً تأريخياً. وفی هذه المقالة ينصب بحثنا حول «التفسير الحديث»، وتتّجه مباحثنا إليه بإعتباره مصداقاً للتفسير بحسب النـــزول.

اختار دروزة لون التفسير على حسب ترتيب نزول السور من بين ألوان التفسير الأخرى. فنجده يختار لنفسه «التفـــسير بحسب ترتيب نزول السور» ويرجّحه على «التفسير بحـــسب ترتيب نزول الآيات»؛ لنفس السبب الذی تقدّم آنفاً وهو سعيه سلوك الطريق القويم الموقوف به لتعيين زمان نزول مجموعات من الآيات في سورة ما، ليتسنى له القطع بنـــزول أيّ السور قبل غيرها؟ وخاصة فيما يتعلق بالسور المدنية لأنّ الخلاف أقلّ في المكية حيث نجد في الغالب نزولاً واحداً أي نزولاً دفعياً إلّا ما كان فی بعضها من النـــزول التدريجی، بالإضافة إلى إتحاد السور المكية في الموضوع، بخلاف السور المدنية التي تعـــدّدت وتنوّعت فيها الموضوعات[٥]، وبالنظر إلى هذه الصعوبات التي تعترض المفسر فإنّنا نجده قد اختار لنفسه اللون الثـــانی فـــی التفسير. ومنهجه في تعيين ترتيب التزول السور هو النظـــر في مفتتحها. لذا فهو يذهب إلى أن عدداً من السور المكية والمدنية إحتوت آياتها مطالب وموضوعات لا ينطبق على ما قيل فيها من سبب التزول ورواياتها التي نقلت لها، وعليه فلابدّ من القول بأنّ أقساماً من سور القرآن لم تنزل في آنٍ معاً بل نزلـــت في أزمنة متفرقة على التباعد في الفترة الزمنية حتى يكتمل نزولها. وعليه فإنّ وصف السورة بأنها نزلت قبل تلك أو بعد غيرهـــا من السور، فإنّ المراد منه هو نزول مطلعها و مفتتحها قبـــل مفتتح ومطلع السورة الأخرى أو بعده، وعلى هـــذا يجـــرى ترتيب السور في القرآن من حيث النـــزول.[٦]

٢. إمكان الوقوف على ترتيب النـــزول

يمكن تصنيف العوامل المؤثرة في تعيين (ترتيب) نزول الآيات و السور، بوجه عام، إلى ثلاث مجموعات: الآيات القرآنية ذاتها، الروايات المأثورة، والإجتهاد بإعمال الرأي فی الآيات والروايات كليهما. وكلّ الذی يقال فی ترتيب نزول الآيات والسور على وجه صريح مرجعه إلى الروايات والأحاديث، وهي أعم مـــن كونها روايات ترتيب النـــزول، روايات فـــی مكـــی الـــسور والآيات ومدنيها، روايات اسباب النـــزول،...وهـــي علـــى

١. الحكيم، سيد منذر، شوال ١٤٢٢ق، التفسير الحديث لمحمّد عـــزّة دروزة، الحيـــاة الطيبـــة، بيروت، ط ٨،ص٣٢١

٢. إيازي ، محمّد علي ، شناخت نامه تفاسير ، كتاب مبين ، رشت ،ص٥٣

٣. سليمان، فريد مصطفي، محمّد عزّة دروزة و تفسير القرآن الكريم، مكتبة الرشـــد، الريـــاض، ١٤١٤ق، ص١٣١و ١٣٢

٤. نفس المصدر

٥. دروزة، محمد عزّة، التفسير الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢١ق، ج١، ص١٩

٦. نفس المصدر، ج١، ص١٢٥و ١٢٦

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-25]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1428.14.2.7.3]

كثرتها واتّساع دائرتها إلّا إنّه لا يمكن القطع بالمراد منها [1] كما أن تعيين ترتيب نزول صحيح لكافّة السور غير ميسّر، فلا يوجد ترتيب للنزول قد سلم من النقد أو استند إلى دليل قوي يمكن الوثوق به[2] و لّما لم تسلم الروايات من الإختلاف والتناقض، فقد لجأ الباحثون إلى تلمّس المعايير و العلائم يمكن الوثوق بها و يطمئنّ إليها. من وجهة نظر دروزة – كما نقرأ ذلك في تفسيره – فإنّ أصدق معيار تعرض عليه الروايات هو القرآن ذاته، سواء كانت روايات تفسيرية أو غير تفسيرية. لذا فهو يستعين بالقرآن لمعرفة ترتيب النزول للآيات والسور، وعليه فقد ردّ الروايات التى لاتتطابق مضامينها مع القرآن، فلم يعتمد منها شيئاً فى التفسير[3]، فعلى سبيل المثال نجده يستعرض الروايات فى ترتيب نزول سورة العلق، والقلم والمزمّل والمدّثر، فقد نصّت على اولية النزول لهذه السور، لكن لايوجد مرجّح في ذلك يكشف عن أقدمها نزولاً، إلّا أنّه يقرر أنّ هذه الروايات لا تنطبق مع مضامين تلك السور، ففي سورة القلم نقرأ «إذا تُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين» و في سورة المزمّل يقول الله تعالى «و رتّل القرآن ترتيلاً» وفي المدّثر « إنْ هذا إلّا قول البشر»، وأمّا الآية السادسة وما بعدها للعلق فنجد عناد المشركين وردّ الله تعالى و تفنيده لمزاعمهم، ففي كلّ ما تقدم آيات سبقت هذه الآيات في هذه السور وأنّها آيات تلَت الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، ليصحّ وقتها الخطاب «و رتّل القرآن ترتيلاً»، «...أساطير الأوّلين»، «إنْ هذا إلّا قول البشر»، فالآيات التي توسطت هذه الآيات والآيات الخمس من سورة العلق هي آيات دعوة وإنذار للكفار، لإتخاذ موقف منهم، من ذلك سور: الفاتحة، الأعلى، الشمس، العصر، الليل و... وغيرها مما إشتمل على أصول ومباني الدعوة الأسلامية.[4]

ما تقدم لا يعنى أنّ الترتيب الموجود في الآيات غير صحيح بالكلية، وإنّه لا يصحّ الوثوق بها، فأغلب السور المكية قد نزلت دفعة واحدة أو أنّها نزلت بالتدريج على تقارب في الزمان بين أقسامها، وبالنظر إلى محتواها، فإنّ ما جاء في الروايات بشأن ترتيب النزول، صحيح.[5] فيما يتعلق بآيات القرآن الكريم، فنجد أنّه من الصعب الحصول على معلومات تفيد في إعطاء فكرة حول الموضوع ورصد زمان نزول الآيات، لذلك يجب التسليم بأنّ تعيين ترتيب النزول لكافّة سور القرآن على نحو القطع متعذّر، ولا يُسلَّم لمدّعٍ في ذلك، و ما ورد ذكره لبعض السور فليس إلّا ظنّ دون اليقين.

٣. حكم الشرع في التفسير على حسب ترتيب النزول

الإعتماد في التفسير على ترتيب النزول لا يتعارض مع قدسية القرآن الكريم، و لا يلحق نقص فى المصحف المتداول بيننا، لأنّ التفسير ليس مصحفاً مُعَداً للتلاوة فحسب، بل هو عمل علمى و فنّى يأتى على كل سورة بنحو مستقل، فلا يقدح على هذا الوجه من التفسير في قداسة المصحف الشريف بتغيير في ترتيبه.[6]

أهمّ دليل يمكن الإستناد إليه هو سكوت الروايات بهذا الخصوص، فلم تمنع الروايات منه، فيفهم بقاؤه على الإباحة. صاحب التفسير الحديث، لما نهج في التفسير نهجاً يغاير سلفه من المفسرين، شرع في تلمس الدليل على الجواز، و قد طلبه من مفتي عصره ليُسكت الألسنة الناقدة لعمله، وقد اسند لإثنين من مفتي سوريا القول بالجواز معتمدين في ذلك أدلّة وشواهد تاريخية، ولا ضير في ذلك ولا مانع منه.[7]

من بين الأدلّة المستفادة في ذلك ما ورد في روايات بشأن مصحف علي (ع) ومسألة الترتيب الإجتهادى للسور، فهما من آكد الأدلّة والبراهين على الجواز.[8]

---

١. أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص، ترجمه مرتضى كريمى نيا، طرح نو، طهران، ١٣٨٢ش
٢. دروزة، التفسيرالحديث،ج١،ص١٣
٣. دروزة، التفسيرالحديث،ج١،ص٣٧٨و٣٧٩
٤. نفس المصدر، ج١، ص١٢٥و١٢٦
٥. نفس المصدر، ج١،ص١٣و١٤
٦. دروزة، التفسيرالحديث،ج١، ص٩
٧. نفس المصدر، ج١، ص١١و١٢
٨. نفس المصدر؛

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-25]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1428.14.2.7.3]

وعلى الرغم من عدم اعتقاده بما جاء من أدلّة أي موضوع مصحف امير المؤمنين (ع) وموضوع الترتيب الإجتهادى، إلّا أنّه لجأ إليهما ليقلّل من حدّة النقد الموجّه إليه بسبب تحـــسّس البعض منه، ليقول للجميع بأنّه لم يقترف بدعة في ابتكاره هذا وعليه، فلابدّ من الإعتراف بأنّ هذا اللون التفسيري على الرغم من اشتماله على فوائد جمّة، إلّا أنّه لا يخلو من عيوب سنـــشير إليها. لكن من وجهة نظر الشرع لا مانع منه.

٤. ضرورة و أهميّة لون التفسير بحسب ترتيب النـــزول

نلمح أهميّة وضرورة اتّباع هذا اللون من التفسير فى كلمـــات محمّد عزّة دروزة، والذى من خلاله يمكننا أن نتتبع مراحل سير السيرة النبويّة، كذلك فإنّ مراحل التنـــزيل (مراحـــل نـــزول القرآن) وكيفيّتها يمكن أن تقف عليها بشكل أوضـــح وأدقّ بالوقوف على ترتيب نزول السور الكريمة، وبهذا فإنّ قـــاريء القرآن يكون قد عاين النـــزول وعايش ظروفه، وتجلّت لـــه حكمته[1] ولا ننسى أنّ القرآن الكريم هو أصدق وأوثق مصدر قصّ علينا مجتمع وحياة النبى (ص) سواء كان ذلـــك ببيـــان الوجهة الإقتصادية أم الجغرافيـــة أم الثقافيّـــة، أم الدينيـــة أم الأخلاقية، ...مضافاً إليه، فإنّ القرآن بسورة المكية والمدنية تتّبع لنا مجرّبات السيرة النبوية ليقصّها علينا، وأوضح لنـــا كيفيـــة العلاقة التي ربطته بالله وبالناس وخلاصة القول، أنّ القرآن لم يصور لنا كافّة جوانب السيرة النبوية وأجواءها فحسب، بل إنّ آيات كثيرة أشارت بوضوح إليه وصرّحت بالقول به، ســـواءً كان ذلك بطريق العبارة أم بطريق التلميح إليه.[2] ولا يخفى أنّ التنبّه إلى العلاقة الوثيقة التي تربط السيرة النبويّة بالوحي القرآني له تأثير بيّن في فهم الآيات الكريمة والوقوف على مراميهـــا، فالقرآن قصّ علينا مواقف دعوة مختلفة للرســـول (ص) أمـــام المؤمنين، والمشركين والمنافقين و أهل الكتاب على أكمل وجه وأبينه، ونلحظ من ذلك إنسجاماً في هذه المواقف السابق منها واللاحق متّجهة نحو مسير واحد. كما أنّ إدراك هذه المـــسألة يفيد في فهم مواقف القرآن و الوقوف على ما تضمّنه من بيان دون محاولة إضافة فهم خاص عليه وتحميله معاني غريبه لا صلة لها به، وهذا من شأنه أن يعلـــم الفكـــر دون الإنقيـــاد وراء انحرافات والتخرّصات التي لا دليل عليها. ومما نلحظه في كتاب الله تنوع الخطاب والمخاطبين والحديث عـــن الإرادة الإلهيـــة وقضاؤه الحتمية وتقديره تعالى في أمور معيشة الناس من جهة و بداء فى حكمه من جهة أخرى. هذا وغيره دليل على وجود علاقة وثيقة بين الوحي والأحوال والأوضاع الـــتي عاصـــرت التنزيل وأهمّها السيرة النبوية المطهرة، ومن ذلك نجدنا قـــادرين على تعليل التغيير في لحن الخطاب والأحكـــام ونجـــدنا غـــير محتاجين للقول بأنّ الله العالم بمغيبات الأمور ماضيها ومستقبلها وحاضرها، فَلِم أحدث تغييراً في أحكامه ونسخاً لها، وتـــدرّج فيها بين الشدة واللين ؛لأنّ الخطابات القرآنية وبيانات الوحي الإلهي تطابقت وحال الطبيعة والفطرة وقوانينهما التي هي كلها من صنعه تعالي، العالِم بأحوال الخليقة الموجد لها، وعليه فـــإنّ الله سبحانه أنزل كتابه وأحكم قوله ليطابق ويوافق ما سنّه من أحكام وقوانين في هذه الحياة.[3]

٥. دراسة نقدية لهذا اللون من التفسير

٥-١. اعتراض وارد على المسألة

يرى بعض الباحثين في معرض انتقاده لهذا اللون في التفسير:
«إنّ تتبع ترتيب النـــزول للسور عمل ســـهل، لأنّ التـــاريخ حفظ لنا هذا، لكن رعاية ترتيب نزول السور، لا صلة له بفهم معانى آيات القرآن الكريم؛ لأنّ المقدار المعلوم لنا حول السور الكريمة، مكية أو مدنية، ونزولها فى اوائل البعثة أم أواخرها، في سنوات الهجرة الأوَل أم اواخرها، وأين نزلت وفي حق مَـــن نزلت، هذا المقدار كاف لفهم معاني آيات السور هذه، سواء كانت في مطلع السور أم آخرها نزولاً، لكن موقعها بحـــسب

١. نفس المصدر، ج١،ص٩
٢. دروزة، التفسير الحديث، ج١،ص٣٣و٣٤
٣. نفس المصدر،ص١٤٢-١٤٣

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-25]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1428.14.2.7.3]

ترتيب النـــزول لا يكسبها ميزة خاصة ولا يضيف عليها معان جديدة.»[1]

ثم يتابع هذا المعترض قوله بذكر خمس آيات الأول من سورة العلق، مضيفاً قوله: «إذا كانت هذه الآيات اوّل ما نـــزل مـــن القرآن، فما هي المعاني الخاصّة التي اكتسبتها وما ميزة ذلك[2].

٥-٢ ردّ الإعتراض

قبل أن يكون دروزة مفسراً، كان مؤرخاً مطّلعاً على أهميّة جزئيات المسائل وعلاقاتها ببعضها وأثرها في الحـــوادث، وأهمية طريقة التعامل معها في فهم حادثة بعينها، ولعلّ هذا الأمر من أهمّ العوامل التي دفعته لإبتكار هذا اللـــون في التفسير. كما أنّ معرفة المكّي من المدنيّ وأيها نزل أوائل البعثة أم أواخرها، وغيرها مما سبق ذكره، هذا كلّه بمنزلة مصادر معلومات للمفسر تساعده في فهم معاني الآيات، لكن هذه النظرة الكلية لخلوها من الجزئيات تُضيّع علـــى المفسر معلومات مفيده. كما اَنّ تفسير سورة ما و معرفة متى نزلت و قبل أيّ السور نزلت يقدم لنا على الأقـــل معلومات عن مكية السورة ومدنيّتها، فالمفـــسر في هـــذه الحالة إذا لم يمتلك معلومات كافية حول السور المختلفة التي سبقت هذه السورة نزولاً يمكن أن يفقده معلومـــات أخرى بشأنها. من هذا نقول: أنّ تمييز ومعرفـــة ظـــروف التنزيل التي أشار اليها مفسّرنا، لن نكون مثمـــراً إلاّ إذا عرفنا أي السور أسبق النـــزول و أيّها تأخّر نزولها، ومن خلال فهم ظروف التنـــزيل نخلص الى الإطّلاع علـــى جـــوّ النـــزول ومن ثمّ الى معرفة معاني آيات السورة علـــى نحـــو أسهل، فإشارة المعترض الى سورة العلق لايـــصحّ هنـــا، لأنّ الآيات الخمس الأول منها هي أول ما نزل وكافّة المفـــسرين على اطّلاع بأحوال تنزيلها، صغيرها وكبيرها، أمّا إذا أخترنـــا سورة أخرى لدراسة أثر معرفة جوّ النـــزول على فهم معانيها رأينا لايُبحث عن أحوال تنـــزيلها، صغيرها وكبيرهـــا. والسورة التالية لها في النـــزول. أما الأمر في مثال «العلق» فلا يصحّ لأنّ وجود سورة سبقتها في النـــزول أمر منتفٍ. ههنا مثالان استقيناهما من كتاب «التفـــسير الحـــديث» يوضحان لنا أهمية الوقوف على ظروف التنـــزيل:

النموذج الأول: تصحيح النظرة تجاه الأهداف الموجودة في أوائل السور نزولاً

يستدلّ المفسر لدى تفسير الآيتين السادسة والرابعة من سورة العلق، مشيراً إلى بعض السور أسبق منها في النزول مثل: سورة القلم، المزمّل والمدّثر،...فيستوحي من خلال مذمّة حبّ المال والحرص في الدنيا، حيث ورد في السور هذه: إطعام المساكين، التصدّق على الفقراء، الإنفاق في سبيل الله. ويستدلّ من ذلك على أهميّة هذه الموضوعات التي وردت في أسبق السور نزولاً، مؤكّداً وجهة نظره بأنّ هذه الأمور تكرر ذكرها في سور مكيّة وأخرى مدنيّة[3].

النموذج الثاني: تصحيح النظـــرة إلي الروايـــات التاريخيـــة الإسلامية والسيرة النبوية

يستدلّ دروزة بأوائل السور نزولاً انّ دعوة النبيّ الأكرم كانت منذ اليوم الأول علنيّة، ويشير لذلك إلى سورة القلم والمزمّـــل والمدّثر والتكّاثر والماعون والكافرون، حيث يراها مؤيّدة لوجهة نظره التي ذهب إليها، لأنّ مضامينها تشهد بقيام نزاع بين النبي (ص) وبين المشركين المعاندين. ويستعرض الروايـــات الـــتي تحدّثت بأنّ الدعوة بدأت سريّة، ثم انتقلت إلى مرحلة العلانية، ويوجّه هذه الروايات بقوله: أنّ الرسول (ص) كان يأمر أتباعه بالتخفي في أداء الصلاة ليكونوا بعيدين عن أعين الكفار فـــلا يتعرضوا حينها للأذي و التنكيل من قبلهم، و هـــذا لايعـــني وجود مرحلتين في الدعوة، سرية وأخرى علنيّة[4].

---

١. معرفة، محمد هادى، التفسير و المفسرون، مؤسسه فرهنگى التمهيد، قـــم، ١٣٨٠ق، ج٢، ص٥١٩-٥٢٠

٢. نفس المصدر؛

٣. دروزه، التفسير الحديث، ج١، ص ٣٢٦-٣٢٧

٤. نفس المصدر، ج١، ص٣٢٢-٣٢٣

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-25]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1428.14.2.7.3]

٥-٣ لون التفسير بحسب ترتيب النـــزول، من زاوية أخرى

نلحظ أنّ لون التفسير لدى دروزة يتّجه إلى هدف عظيم وهو فهم الآيات القرآنية بالتزامن مع فهم دقيق للـــسيرة النبويـــة، صحيح أنّ هذا اللون لايخلو من سلبيات إلاّ أنّه يمكن تداركها وعلاجها ليكون أكثر نفعاً وأجدى أثراً. وههنا لا يسعنا إلاّ أن نشير إلى مسألة هامّة هي: أنّ هذا اللون في التفسير لا يعارض ولا يناقض اللون التفسيري بحسب ترتيب السور في المصحف، ممّا لا يحوجنا في ذلك إلى توجيه النقد التدافع له. فاللونان غير متعارضين؛ لأنّ هدفهما واحد، بل إنّ كل واحد منهما مكمّل للآخر ويمكن الجمع بينهما، بل إنّه يساهم في التقليل من نسبة الخطأ ويفيد في تعيين المراد من آيات القرآن، ويعـــين علـــى الفهم. والنقص الذي يرد على لون التفسير لدى دروزة هو قلّة إكتراثه بموضوع المناسبة واتصال الآيات فيما بينها، ممّا يفوت على المفسر فوائد جمّة، وبالرغم من تتبع المفسر لترتيب نزول السور، إلاّ أنّ إنسجام آيات كل سورة مع موضوعها الأساسي التي تتمحور عليه من الأمور التي أغفلها دروزة، ممّا عدّ نقصاً في اللون؛ من جهة أخرى، فإنّ التفسير بحسب ترتيب المصحف لايساعد المفسرين في فهم الأحكام والآيات مع تفهّم لأحداث السيرة الشريفة، فالاهتمام بجوّ ومحيط النزول والتاريخ المقطوع بصحّته خلال القيام بتفسير كتاب الله سبحانه يعدّ أمراً غـــير موجود في عمل أكثر المفسرين الذين ينهجون التفسير بحسب ترتيب المصحف.

٥-٤ لون مقترح يقدّمه كاتب المقالة

مع الأخذ بعين الإعتبار الإيجابيات والسلبيّات التي يتضمّنها كل لون من التفسير، فأنّ الحلّ الأمثل هو الجمع بينهما والتلفيق بين خطواتهما ومراحلهما؛ لأنّ الجمع بين هذين اللونين ليساعدنا في تدارك سلبياتهما و رسم لون أحسن وأكمل خـــال مـــن المثالب كثير الفوائد. واللون المقترح للتفـــسير عبـــارة عـــن «التفسير بحسب ترتيب المصحف» لأنّنا نؤمن بأنّ الترتيب على هذا النحو توقيفي و يوقفنا على ترابط السور فيها بينها لتبيّن أوجه المناسبة لهذا الإتصال، لكنّنا لن نتوقـــف عنـــد ذلـــك فحسب، بل سنفيد من «التفسير بحسب ترتيـــب الـــنزول»؛ وبعبارة أخرى، فإنّ اللون المشار إليه هو تتبع «ترتيب النـــزول السور، وجوّ النـــزول لكل منها، قراءة في السيرة النبويـــة و تاريخ صدر الإسلام» على نطاق واسع ودقيق، يعني هيكليـــة التفسير و قالب اللون التفسيري هو «التفسير بحسب ترتيـــب المصحف» و محتواه مستفاد من كل من «ترتيـــب الـــنزول» و«ترتيب المصحف».

٦- جواب و ردّ شبهة

في نهاية المقالة، من الواجب علينا ردّ شبهة مفادها: أن الترتيـــب بحسب النـــزول وجوّ النـــزول، والتفسير المستقى من ملابسات النـــزول قد يحدّ من مفاهيم القرآن التي تتسع لكل زمان ومكان ولا تتوقف عند عصر التنـــزيل وموقعه الجغرافي، مما يقـــدح في خلود القرآن، وللإجابة نقول إن القرآن نزل ليعالج الإنسان مـــن حيث هو انسان، وقد تعامل مع المجتمع البشري آنذاك من حيث هو مجتمع بشري، لا لأيّ وصف آخر، فخاطب الطبيعة الإنسانية وخصائصها الروحية والجسمية، وأمّا هذه الطبيعة البشرية فهـــي ثابتة وأما مستلزمات العيش فهي متغيرة لأنها مادية تتخذ أشكالاً مختلفة بتقادم الزمان وتباعد المكان.

من هذا نقول، إنّ الوقوف على خصائص المجتمع البشري صدر الإسلام ومعرفة الحادثات آنذاك يسعنا في درك طبيعـــة الخطاب القرآني ومغزاه وطريقة علاجـــه وإصـــلاحه لأدواء الإنسانية، ومن هذا كله نستقي الدواء كما استقاه الذين مـــن قبلنا من القرآن عصر النـــزول، وهو ميسر فهمه والعمل بـــه كما تيسر لهم مثل ذلك.

الهوامش

١. يقوم المفسر في هذا اللون من التفسير، الذي هو في الغالب لون المفسرين منذ بداية عهد التفسير إلى الآن، بتفسير و شرح سور القرآن الكريم حسب الترتيب في المصحف، فيبدأ بتفسير

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-25]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1428.14.2.7.3]

«الفاتحة» و يختم تفسيره بسورة «الناس» (صدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت،ص ٨-٩).

٢. التفسير الموضوعي، عمل منهجي يعنى بجمع الآيات، ذات الموضوع الواحد المتعلق بحياة الناس، حيث يعالجه القرآن بالنظرة الخاصة (جليلي، هدايت، روش شناسي تفاسير موضوعي، النشر الكوير، طهران، ١٣٧٢ش، ص ١٧٠، وانظر كذالك الى: شلتوت، محمود، من هدى القرآن، دارالكاتب للطباعة والنشر، القاهرة، ص٣٢٢ -٣٢٣).

٣. تقسيم المناهج التفسيرية إلى أنواع ودراستها، أحد المباحث الجديدة والمتأخرة، كذلك فإن هذه المباحث كانت من خلاف بين الباحثين، والتقسيم المذكور في نص المقالة، هو نموذج لهذه التقسيمات، وهو مستفاد من دروس الدكتور أمير جودوي في جامعة طهران، حيث يظهر منه أنّه أكمل وأوضح من غيره.

٤. التعبير بكلمة «متأخّر» لايشمل الحديث عن مصحف الإمام علي (ع)؛ لأنّ الرواية في كون مصحف أمير المؤمنين مرتب بحسب النزول غير موثوق بها، كما أن مصحف الإمام غير موجود بيننا، وعليه فإنّ إستعمال كلمة «متأخر» ليس بخطأ. (مهدوي راد، محمد علي، آفاق تفسير، هستي نما، طهران، ١٣٨٢ش، ص١٠٠-١٠٣)

٥. يصطلح على أي مجموعة من الآيات تنزل على سيدنا محمد (ص) و يوحي من الله إليه، سواء كانت سورة كاملة أم قسماً من سورة «دُفعة النزول» (نكونام، جعفر، درآمدي بر تاريخ گذاري قرآن، هستي نما، طهران، ١٣٨٠ش، ص٢.

٦. عاني، عبدالقادر ملاّ حويش آل غازي، بيان المعاني، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٢ق.

٧. دروزة، محمد عزّة، التفسير الحديث، دارالغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٠ق.

٨. للمزيد من المعلومات حول منهج دروزة، انظر: رسالة جامعية لمرحلة الماجستير، تأليف كاتبة المقالة به عنوان «نقد و دراسة التفسير الحديث تأليف محمد عزة دروزة»، جامعة اعداد المدرسين، طهران، ١٣٨٤ش، وانظر ايضاً:

Poonawala, I .k. 1993. Muhammad ‘Izzat Drwazås principles of modern exegesis., pp. 225 – 246. in: Approches to the Qurän. Eds. Hawthing, G.r. and Shareef, Abdul – kader. A. , London, Routledge.

٩. للمزيد من المعلومات، أنظر : الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٣ق، ج ١٣، ص٢٣٥؛ و أيضاً: فارسي، جلال الدين، پيامبري و انقلاب، بدون محل الطباعة، نشر اميد، ، بدون تاريخ، ص ١٨

المصادر و المراجع

[١] أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص، ترجمة مرتضي كريمي‌نيا، نشر طرح نو، طهران،١٣٨٢ ش

[٢] أيازي، محمد علي، شناخت نامه تفاسير، نشر كتاب مبين، رشت، ١٣٧٨ش

[٣] بازرگان، مهدى، پا به پاى وحى (التفسير المتدبر للقرآن الكريم بحسب النزول)، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، طهران، ١٣٧٠ ش.

[٤] بازرگان، مهدي، سير تحول قرآن، طهران، شركت سهامي انتشار، ١٣٦٠ش

[٥] جليلي، هدايت، روش شناسى تفاسير موضوعى قرآن، نشر الكوير، طهران، ١٣٧٢ ش

[٦] الحكيم، سيد منذر، شوال ١٤٢٢ ق، التفسير الحديث لمحمّد عزّة دروزة، مجلة الحياة الطيبة، بيروت، ط ٨

[٧] دروزة، محمّد عزّة، التفسير الحديث ترتيب السور حسب النزول، دارالغرب الاسلامى، بيروت، ١٤٢١ق .

[٨] سليمان، فريد مصطفي، محمّد عزّة دروزة و تفسير القرآن الكريم، مكتبة الرشد الرياض، ١٤١٤ق

[٩] شلتوت، محمود، من هدى القرآن، القاهره، دار الكاتب للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

[١٠] صدر، محمدباقر، المدرسة القرآنية، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-25]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1428.14.2.7.3]

[١١] الطباطبائی، محمدحـــسين،الميزان في تفـــسير القـــرآن، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٣ ق.

[١٢] آل غازي، عبدالقادر ملّاحويش آل غازي، بيان المعاني، دمشق، مطبعة الترقي، ١٣٨٢ ق.

[١٣] فارسي، جلال الدين، پيامبری و انقلاب، بدون محـــل الطباعة، نشر اميد، بدون تاريخ

[١٤] معرفت، محمدهادی، تفسير ومفسران، قم، مؤســـسة الثقافية التمهيد، ١٣٨٠ ش.

[١٥] مهدوي راد، محمد علی، آفاق تفسير، طهران، نـــشر هستی نما، ١٣٨٢ش

[١٦] نكونام، جعفر، درآمدی بر تـــاريخ‌گـــذاری قـــرآن، طهران، نشرهستی نما، ١٣٨٠ ش.

[17] Poonawala, I .k. 1993. Muhammad ‘Izzat Drwazås principles of modern exegesis., pp. 225 – 246. in: Approches to the Qurän. Eds. Hawthing, G.r. and Shareef, Abdul – kader. A. , London, Routledge.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-25]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1428.14.2.7.3]

تفسیر قرآن کریم بر اساس ترتیب نزول

محمد علی لسانی فشارکی[1]، سمیه ذوالقدرنیا[2]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۵/۳/۲ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۵/۸/۲۹

تفسیر براساس ترتیب نزول یکی از انواع طرحهای تفسیری است که روش تفسیری مفسر در آن پیاده می‌شود و خود به دو نوع تفسیر براساس ترتیب نزول آیات و تفسیر براساس ترتیب نزول سوره‌ها تقسیم شده که نوع اخیر نسبت به نوع دیگر از نقایض کمتر و فواید کاربردی بیشتری برخوردار است.

امکان دستیابی به ترتیب نزول، ضرورت، اهمیت و جواز شرعی آن، مسائل مهمّی است که نگارنده درصدد پاسخ بدان برآمده و در نهایت با توجه به فواید و نقایصی که هر دو طرح تفسیر براساس ترتیب مصحف و تفسیر براساس ترتیب نزول سوره‌ها با آن روبرو می‌باشند و نیز با توجه به عدم تعارض این دو طرح با یکدیگر، ادغام و تلفیق آن دو را بهترین راه حل برای دستیابی به یک طرح تفسیری جامع و کاربردی می‌داند.

واژگان کلیدی: روشهای تفسیری، ترتیب نزول، محمد عزّة دَروَزة

۱. استادیار گروه علوم قرآن وحدیث دانشگاه تربیت مدرس، تهران

۲. کارشناس ارشد علوم قرآن وحدیث دانشگاه تربیت مدرس

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-25]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1428.14.2.7.3]